اصوات من تاريخ قديم

ـ ٢ ـ ابو العلاء

الليل في « معرة النعمان » جاثم عنيد
تلاصقت الواحه كحائط صفيق
وامتدّ من حباله الغلاظ وجه فاتك جسور
ينسل في دائرة الالوان والظلال
بحثا عن الجياع والعبيد
والموثقين في ضلالة القيود
وأنتَ في ذهولك الكونيّ مُثقلٌ شريد ..
تَرودُ بالخيالِ عالمَ الصراع والاضداد
تمدّ للسماء
عقلا طليق اللّمحِ ، واري الزناد
يقدحُ باللهب والشّرر
مشيعا في دورة الزمان والفلك
حقيقة الاحياء والموتى ، وجوهر الصفات والاشياء
مُنفتحا على صفاء النّفسِ والسريرة
مُحدّثا .. مُردّدا :
« الكون » يا صحابُ في قلوبنا يُضيء
حين تميل للرحيل زهوة العيون
فتبصرون .. يالهول ما ستبصرون !
وستشرق الجوانح الدفينة
بكلّ سرّ كامن في قاعها يطوف
عارية من الشكوك والظنون ..
نقيّة من الهوان او مذلة السؤال
طليقة من ربقة الخوف ومن اسرِ المتاع

* * *

تساقط الاوهام والخوف
ويصبح الموتُ صدى ، وتصبح الحياة
حزمة من الظلال
الكونُ يا صحاب ليس ضحكة وليس دمعة
لكنه رحى تدور ، تطحن الهشيم والرماد
والباذخَ المعتد من شوامخ الجبال
بورك من يظلّ فوق ظهرها .
حبّة رمل او حصاة ،
ـ تعوقُ ثِقلَ السرقة والفجيعة
ووطأة الاذلال بالرغيف !ـ
لا نُقطةَ الزيتِ التي تمنحُها اكتمال
دورة الحصاد
يا من يدلّني على المسافر الحصيف
تحرّرت عيناهُ من رغائبِ البشر
وانطلقت عيناهُ من اسارير الارض للتراب
يضيء للانسان ، حيث كان ، شمعة ! »

* * *

يا شيخنا .. يا شيخنا الضرير :
ماذا رأيتَ من وجوهنا فاخترت راحة البصر
ويقظة البصيرة !
ماذا سمعتَ من حديثنا العبوس ، فاعتزلت
مُنقبا صحيفة الزمان ، عن أثر
قرأت فاكتفيت أم علّمت فاسترحت ؟
لكن قلبكَ الكبير ، كالشعاع ، دائما على سفر
يجوبُ بدءَ الكون ، والختام ،
ويلحق القادمَ بالذي مضى
في رحلة المعنى ، وفي قافلة الايام !
يا شيخنا .. يا شيخنا الضرير :
هل آن للانسان أن يُطاولَ السماء
بنبضِ قلبه الصغير ، حين تومضُ العينان بالاحلام
بقبضة لم تتسع للمسة السلام ..
لكنّها تفوصُ في ذبائحِ الدمار والحُطام !!
هل آن للانسان أن يُجاوزَ الآلام
مهاجرا من عالم الملال والسآمة
الى صفاءِ « المحبين » ..
وعالم النقاءِ .. والكرامة ! (*)

القاهرة — فاروق شوشة

(*) هذه القصيدة من ديوان « العيون المحترقة » الذي يصدر قريبا عن « دار الآداب »